الإمام النيسابوري
أعـلام التفسيـر

الإمام النيسابوري
صاحب تفسير: إيجاز البيان عن معاني القرآن

من المرجح أن يكون النيسابوري من علماء القرن السادس الهجري، وأن وفاته كانت بعد سنة 553 ه-.

فرغ النيسابوري من تأليف كتابه : " إيجاز البيان عن معاني القرآن " سنة 553 ه-.

وفي القرن السادس الهجري كانت الدولة العباسية تمر بمرحلة من أضعف مراحلها وتنتظر أفولها وانهيارها، حتى إنه لم يبق من الخلافة إلا اسمها.

وتشتت الدولة العباسية الكبيرة إلى دويلات متناثرة هنا وهنالك، فالفاطمية (358 - 567 ه-)، والأيوبية (567 - 648 ه -) في مصر، ودولة خوارزم (470 - 628 ه -)، والمرابطية في المغرب العربي (448 - 541 ه-).

ومن أهم الأحداث التي وقعت في هذا العصر سقوط نيسابور في يد غير المسلمين، وكذلك " مرو " و" سرخس ". وقتل في نيسابور عدد كبير من الأهالي بينهم طائفة من العلماء الذين عرفوا بزهدهم وورعهم.

كما شهد أواخر القرن الخامس الهجري ومطلع القرن السادس صراعات بين أفراد الأسرة السلجوقية التي كانت تحكم البلاد فعليا في ظل الخلافة العباسية الشكلية، وقد كانت تلك الصراعات دموية ومؤسفة في كثير من الأحيان، وأدت في نهاية الأمر إلى ضعف الدولة السلجوقية السنية، وكان هذا الضعف سببا مباشرا للهجمات

الصليبية على البلاد الإسلامية، وانقسمت الدولة السلجوقية العظيمة إلى دويلات الأتابكة التي حكمت البلاد بعد ذلك.

والأتابك - في الأصل - كانوا قوادا وأمراء للسلاطين السلاجقة، تولوا بعض الأقاليم التابعة للدولة السلجوقية، ثم انفردوا بحكم تلك الأقاليم عقب الضعف الذي دب في بلاط السلطنة.

وقد شهد هذا القرن أعظم انتصار حققه المسلمون على الصليبيين، وذلك بدخول صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله تعالى - بيت المقدس عام 583 هـ بعد احتلال دام أكثر من ثمانين عاما.

وتعاقب على الخلافة العباسية - الصورية - في القرن السادس الهجري والسابع الهجري سبعة خلفاءهم:

1 - المستظهر بالله بن المقتدي (487 - 512 هـ).

2 - المسترشد بالله بن المستظهر (512 - 529 هـ).

3 - المنصور الراشد بالله بن المسترشد (529 - 530 هـ).

4 - المقتفي لأمر الله بن المستظهر (530 - 555 هـ).

5 - المستنجد بالله بن المقتفي (555 - 566 هـ).

6 - المستضيء بأمر الله بن المستنجد (566 - 575 هـ).

7 - الناصر الدين الله بن المستضيء (575 - 622 هـ).

أما المجتمع الإسلامي في ذلك العصر فقد كان يتكون من عدة أجناس ففي المشرق كان أبرز تلك الأجناس الجنس العربي، والتركي، والفارسي.

وفي المغرب الإسلامي والأندلس كان العرب والبربر والمولدون وكانت الدولة تضم - بجانب المسلمين - أقليات دينية كاليهود والنصارى، حيث كانت الحرية مكفولة لهم في ممارسة شعائرهم الدينية، وتقلد بعضهم مناصب عليا في الدولة.

كما ظهرت بعض الفرق الباطنية كانوا محسوبين على المسلمين، فكانت الفاطمية في مصر لها حكم ونفوذ واستمرت دولتهم أكثر من مائتي عام.

كما كان هناك الدروز والإسماعيلية في بلاد الشام وفارس.

ولا شك أن الوضع السياسي المضطرب في ذلك العصر قد أثر سلبا على حياة الناس من حيث الاستقرار والأمان، والمحافظة على قواعد الشريعة والأخلاق.

وتأثر المجتمع العباسي خصوصا، والمجتمعات الإسلامية على وجه العموم بالخلافات السياسية، وبضعف السلطة الحاكمة، حيث إن الحكام مشغولون بالصراع على الحكم، وبتسيير الجيوش لقتال بعضهم بعضا، منصرفين عن الاهتمام برعاية مصالح العباد وتدبير شؤونهم الدينية والدنيوية.

ونتيجة لذلك انتشر الفقر، وظهر الفساد الخلقي في معظم طبقات المجتمع بما في ذلك الطبقة الحاكمة التي كانت تدير البلاد، فأدمن بعضهم الخمر، واقترف الظلم وظهر الغش في المعاملات والبيوع وانتشر الربا، وضعفت القيم الروحية والأخلاق الفاضلة في نفوس الناس، وتهاون كثير منهم في أداء العبادات، وعظم الجهل في معرفة أحكامها وشروطها.

وانعدم الأمن، وكثرت الجرائم والسرقات.

كما أدى ظهور الاتجاهات الفكرية والفرق الكلامية المختلفة إلى وقوع كثير من الفتن والمحن، وذلك بسبب اشتداد الخلاف بين تلك الاتجاهات المتباينة [1].

(1) انظر مقدمة كتاب تفسير إيجاز البيان عن معاني القرآن للثعالبي من تحقيق الدكتور / حنيف ابن حسن القاسمي، 1 /13.

أما النشاط العلمي والثقافي فقد تأثر بالوضع المتدهور الذي كان سائدا في ذلك العصر، لكنه ظل يقاوم المؤثرات التي كانت تحد من استمراره وقد ظهر خلال القرن السادس الهجري عدد كبير من الأئمة الأعلام، ونخبة متميزة من العلماء في مختلف فنون المعرفة.

منهم - على سبيل المثال - الحافظ أبي طاهر السلفي المتوفى سنة 576 ه -، والحافظ ابن عساكر المتوفى سنة 571 ه -، والزمخشري المتوفى سنة 538 ه، وابن الجوزي المتوفى سنة 597 ه -.

وقد خلف هؤلاء ثروة عظيمة ضخمة، نهل من مواردها من جاء بعدهم وأفادت الأجيال اللاحقة فائدة عظيمة.

وقد شهد ذلك العصر - أيضا - ظاهرة حميدة وهي اهتمام الخلفاء والسلاطين والوزراء ببناء المدارس والأربطة، وتخصيص الأوقاف لعلماء وطلاب تلك المدارس.

ومن أشهر المدارس التي كانت قائمة في ذلك الوقت وكانت مصدر نور وإشعاع - المدارس النظامية، التي أسسها الوزير السلجوقي نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي المتوفى سنة 485 ه -، وقد اكتمل بناء كبرى هذه المدارس ببغداد وبدأ التدريس بها عام 459 ه -.

كما كانت حلقات العلم والمجالس العلمية تعقد في المساجد المختلفة، ويتصدر للتدريس في تلك الحلقات أبرز العلماء في ذلك العصر.

وشهدت الدولة في تلك الفترة ظاهرة طيبة، وهي التنافس بين الأمراء والحكام والوزراء على بناء المدارس، والاهتمام بها، والحرص على جلب خيار العلماء إليها، وتشجيع طلاب العلم بها على التحصيل

.[1]

حياتـه:

هو محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، وبيان الحق. ويلقب - أيضا - ب " نجم الدين "[2].

عاش مدة من حياته في نيسابور، ولعله خرج منها بعد سقوطها عام 536 هـ، ورحل إلى الخجند، ثم إلى دمشق حيث استقر به المقام هناك حتى وفاته.

أما أسرته فقد ذكر النيسابوري اثنين من أبنائه في مقدمة كتابه جمل الغرائب، وهما قاسم ومحمد.

وقد خلف محمد أباه في التدريس بالمدرسة المعينية بدمشق.

أما مكانته العلمية فقد وصفه ياقوت بقوله: " كان عالما بارعا مفسرا لغويا فقيها متفنًا... ".

وأورد ياقوت بيتين من شعره هما:

فلا تحقرنّ خلقا من النّاس علّه وليّ إله العالمين ولا تدري

فذو القدر عند الله يخفى على الورى كما خفيت من علمهم ليلة القدر.

أما المناصب التي تولاها النيسابوري فيبدو أنه كان قد تولى القضاء.

(1) انظر مقدمة كتاب تفسير إيجاز البيان عن معاني القرآن للثعالبي من تحقيق الدكتور / حنيف ابن حسن القاسمى، 1 /14 - 15.

(2) انظر مصادر ترجمته: - معجم الأدباء: (19/ 124، 125)، بغية الوعاة، 2/ 277، طبقات المفسرين للداودي، 2/ 311، كشف الظنون، (205، 601)، هدية العارفين، 2/ 403، الأعلام، 7/ 167، معجم المؤلفين، 12/ 182، ومعجم المفسرين لعادل نويهض، 2/ 666، مقدمة كتاب تفسير إيجاز البيان عن معاني القرآن للثعالبي من تحقيق الدكتور / حنيف بن حسن القاسمى، 1 /14 - 15.

آثاره العلمية:

كان الإمام بيان الحق النيسابوري من المكثرين في التصنيف في مختلف العلوم الإسلامية، فله في التفسير - مثلا - أكثر من مصنّف، أفاد ذلك المؤلف - رحمه الله - في مقدمة كتابه جمل الغرائب حيث قال:

" و مؤلف هذا الكتاب محمود بن أبي الحسن... قد وفقه الله تبارك وتعالى - منه - في تفسير كتابه لغير واحد حتى استوى من مطولاته التي صنفها على كتاب إيجاز البيان في معاني القرآن... " ا ه-.

أما مصنفاته التي صرح بها المؤلف، أو نسبت إليه فهي:

1 - إيجاز البيان عن معاني القرآن.

2 - وضح البرهان في مشكلات القرآن.

وهذا الكتاب حافل بالشواهد الشعرية، والأمثال، كما يعنى فيه المؤلف بذكر الأحاديث والآثار... وغير ذلك من الفوائد التي أوردها المؤلف - رحمه الله - في حل الآيات المشكلة، وأورد فيه - أيضا - ردودا على الآراء الفاسدة لبعض الفرق، كما صنع مع المعتزلة.

3 - جمل الغرائب، وهو كتاب في غريب الحديث ومشكله.

4 - كتاب خلق الإنسان، أي في أسمائه وأعضائه وصفاته.

6 - الأسئلة الرائعة والأجوبة الصادعة: ذكره المؤلف في مقدمة إيجاز البيان، وهو كتاب في التفسير.

7 - غرر الأقاويل في معاني التنزيل، أشار إليه المؤلف - رحمه الله - في مقدمة إيجاز البيان، فقال: ومن أراد التبحر والتكثر فعليه بكتابنا غرر الأقاويل في معاني التنزيل.

8 - شوارد الشواهد وقلائد القصائد. ذكره المؤلف في مقدمة إيجاز البيان، وقال: " و من أراد ريحانة العلوم، وباكورة التفاسير

وأمهات الآداب، ومقلدات الأشعار، فلينشر من كتابنا " شوارد الشواهد وقلائد القصائد " حلل الوشي وأنماطه، وليبسط منه زرابي الربيع ورياطه...". وهذا الكتاب يشتمل على أشعار مختارة.

9 - باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، ذكره المؤلف في مقدمة إيجاز البيان بهذا العنوان.

10 - قطع الرياض في بدع الاعتراض، صرح به المؤلف في كتابه وضح البرهان، عند تفسير قوله تعالى: {فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ} [البقرة: ٢٤].

11 - شرح الأبيات الواردة في كتاب وضح البرهان، أشار إليه المؤلف في وضح البرهان عند تفسير قوله تعالى: {وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ} [البقرة: ١٣٠].

12 - ملتقى الطرق إلى مجامع نكاتها ومنابع كلماتها، وهو كتاب في مختلف الفقه، ذكره المؤلف - رحمه الله - في مقدمة جمل الغرائب.

13 - له - أيضا - كتاب في أصول الفقه، ذكره في جمل الغرائب وأحال إليه، فقال: وقد أوردت في أصول الفقه - تصنيفي - جملة أنواع المجاز إلى الاتساع، والتوكيد، والتمثيل... فمن أراد تحقق هذه التأويلات فعليه بذلك الكتاب.

14 - كتاب الغلالة في مسألة اليمين على شرب ماء الكوز ولا ماء في الكوز . ذكره المؤلف - رحمه الله - في وضح البرهان عند تفسير
قوله تعالى: {فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا} [البقرة: ٦٠].

وفاته:

من المؤكد أن وفاته كانت بعد عام 553 ه - بفترة ليست بالقصيرة، لأنه كان في تلك السنة بالخجند - وهي بلدة بما وراء النهر

- ثم رحل إلى دمشق وأقام بها حتى وفاته رحمه الله [1].

التعريف بكتاب إيجاز البيان :

ذكر المؤلف - رحمه الله - في مقدمة الكتاب الأمور التي دفعته إلى تأليف الكتاب فقال: إن تفاسير الأولين مقصورة على قول واحد أو مقصودة بالتكثير والتكرير عند المتأخرين، والأولى لعجمة الطباع واللسان لا تشفي القلب، والثانية لا تطاوع الحفظ لإطالة القول.

كما ذكر أن كتابه على رغم صغر حجمه قد اشتمل على أكثر من عشرة آلاف فائدة، من تفسير، وتأويل ودليل، ونظائر، وإعراب، وأسباب النزول، وأحكام فقه، ونوادر لغات، وغرائب أحاديث. ثم قال: فمن أراد الحفظ والتحصيل، وكان راجعا إلى أدب وتمييز فلا مزيد له على هذا الكتاب.

كما أن تأليفه لإيجاز البيان جاء بعد أن صنّف أكثر من كتاب مطول في معاني القرآن وتفسيره.

منهج النيسابوري في تفسيره:

استهل المؤلف - رحمه الله تعالى - الكتاب بمقدمة موجزة، بين فيها الباعث على تأليفه هذا الكتاب، وذكر جملة من مصنفاته في معاني القرآن ومشكلاته، وذكر - أيضا - أهم ما ضمنه كتابه هذا، وأشار إلى أنه توخى الاختصار والإيجاز ليسهل على طالب العلم حفظ ما فيه من فوائد.

بعد ذلك شرع في تفسير سورة الفاتحة، ثم سورة البقرة حتى نهاية القرآن.

وأهم ملامح منهجه يتلخص فيما يأتي:

أولا: اعتماده على القرآن في التفسير، وهو يفعل ذلك إما لبيان

(1) انظر مقدمة كتاب تفسير إيجازالبيان عن معاني القرآن للثعالبي من تحقيق الدكتور / حنيف ابن حسن القاسمى، 1 /17 - 22.

لفظة مبهمة ورد تفسيرها في موضوع آخر، مثال ذلك:

ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: {هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ} [يونس: ٣٠]. قال: ينكشف لها ما أسلفت فتختبر جزاءها، كقوله تعالى: {يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩} [الطارق: ٩].

وأحيانا يستشهد في إعراب الآية بذكر آية مماثلة تعينه على التفسير بالوجه الذي يريده، كما صنع في قوله تعالى: {يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ} [النساء: ٢٦]، فقال: اللام في تقدير المصدر، أي: إرادة الله التبيين لكم كقوله تعالى: {لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ} [الأعراف: ١٥٤]، أي: الذين هم رهبهم لربهم.

وقد يستعين في بيان وتفسير الألفاظ القرآنية الغريبة بالمقارنة بنظائرها التي وردت في مواضع أخرى كما صنع في قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ} [البقرة: ٥٥] حيث قال: والصاعقة هنا الموت، كما في قوله: {فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ} [الزمر: ٦٨]. ثم إنه قد يستعين بالآيات المماثلة والنظيرة لدفع وهم ظاهر التعارض فيجمع بين تلك الآيات رادا شبهة التعارض.

يقول النيسابوري في سورة الحجر: والتوفيق بين قوله: {لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} [الحجر: ٩٢]، وقوله: {لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ} [الرحمن: ٣٩]، أنه لا يسأل: هل أذنبتم؟ للعلم به، ولكن: لم أذنبتم؟ أو المواقف مختلفة يسأل في بعضها أو في بعض اليوم.

وقوله: {هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥} [المرسلات: ٣٥]، مع قوله: {عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} [الزمر: ٣١]، فالمراد هو النطق المسموع المقبول.

ثانيا: اعتماده على الحديث والأثر في تفسير القرآن، ويلاحظ كثرة ورود الأحاديث المرفوعة والموقوفة والمقطوعة، وأغلب الأحاديث التي يوردها من غريب الحديث، حيث يربط بين اللفظة

القرآنية الغريبة ويفسرها بما ورد في الحديث لبيان وتفسير تلك اللفظة.

من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: { ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ } [البقرة: ٢]، قال: الكتاب والفرض والحكم والقدر بمعنى واحد، واستشهد بحديث: " لأقضين بكتاب الله " أي بحكمه. وفي قوله تعالى: {وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ} [البقرة: ٣]، قال: الصلاة: الدعاء، وفي الحديث: ♂**إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب، وإن كان صائما فليصل** ـــ أي فليدع لصاحبه.

كما أنه يستعين بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآيات، مثال ذلك: ما أورده عند تفسير قوله تعالى: {وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ} [البقرة: ٤٨]، حيث قال: والعدل: الفدية، عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد تكرر استشهاده بالحديث المرفوع - في المواضع التي صرح بذلك - خلال هذا الكتاب في سبعة وثمانين موضعا.

كما يعتمد النيسابوري - رحمه الله - على أقوال الصحابة والتابعين بذكر أقوالهم في التفسير، وأسباب النزول، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، وأوجه القراءات المأثورة عنهم.

وأبرز الصحابة الذين نقل عنهم في تفسيره: ابن عباس، وابن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وابن عمر رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وقد بلغت الآثار الموقوفة ثلاثة وتسعين.

ومن التابعين: الحسن البصري، ومجاهد، وقتادة، وسعيد بن جبير... وغيرهم.

وبلغت هذه الآثار عن التابعين تسعة وخمسين أثرا.

ثالثا: عنايته بذكر أوجه القراءات القرآنية، فاهتمام المؤلف بهذا الجانب ظاهر في كتابه، فهو يعنى بذكر القراءات المختلفة وتوجيهها وتبيين الاختلاف في المعاني باختلاف القراءة.

وغالب القراءات التي يوردها سبعية، وأحيانا يورد القراءات العشرية.

أما القراءات الشاذة فلم ترد في هذا الكتاب إلا نادرا، وفي الغالب لا يعزو المؤلف القراءة إلى أصحابها، وأحيانا يفعل ذلك.

كما أنه ينقل عن أئمة القراءات واللغة في توثيق النصوص التي يوردها في توجيه القراءة مثل أبي عمرو بن العلاء، وسيبويه، والزجاج، وأبي علي الفارسي... وغيرهم.

رابعا: اهتمامه بذكر أسباب النزول، وهو في ذلك - غالبا - يعتمد على الصحيح الوارد في هذا الشأن.

مثال ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗا} [النساء: ١٩]، حيث قال: يحبسها وهو كارهها ليرثها، أو على عادة الجاهلية في وارثة الميت امرأته، يمسكها بالمهر الأول أو يزوجها ويأخذ مهرها. نزلت في كبشة بنت معن الأنصارية ومحصن بن قيس الأنصاري.

خامسا: عنايته بذكر المسائل الفقهية، فقد تعرض المؤلف - رحمه الله - في كتابه لآيات الأحكام ذاكرا أقوال الفقهاء في ذلك.

وغالبا ما يورد قولي الحنفية والشافعية في تلك المسائل، مرجحا مذهب الحنفية بالدليل، مع ذكر حجج المخالف والرد عليها.

فعند ذكر قوله تعالى: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ} [البقرة: ١٧٣]، ضعّف قول من قال: غير باغ على الإمام ولا عاد في سفر، لأن سفر

الطاعة لا يبيح ولا ضرورة، والحبس في الحضر يبيح ولا سفر، ولأن الميتة للمضطر كالذكية للواجد، ولأن على الباغي حفظ النفس عن الهلاك.

وعند تفسير قوله تعالى: { وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ } [البقرة: ١٩٦]، أورد معنى الإحصار ومذاهب العلماء فيه.

وعند تفسير قوله تعالى: { لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ } [البقرة: ٢٢٦]، ذكر حكم الإيلاء ومدته وكفارته.

وقد أفاد النيسابوري كثيرا من كتاب أحكام القرآن لأبي بكر الجصاص لكنه لم يصرح بالنقل عنه في هذا الكتاب، وصرح بذلك عند تعرضه لآيات الأحكام في كتابه وضح البرهان.

سادسا: اهتمامه بالجانب اللغوي والنحوي في تفسير القرآن، فقد عني عناية كبيرة بشرح الألفاظ الغريبة، وبيان اشتقاقها، مستعينا في ذلك بنظائرها في القرآن الكريم، وبالحديث والأثر، وبلغة العرب.

ففي قوله تعالى: بِسْمِ الله الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ذكر معنى " الاسم "، وأصل وضعه، واشتقاقه، وأورد الأقوال في ذلك.

وفي قوله تعالى: {فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ } [البقرة: ٣٤]، ذكر معنى " إبليس "، وأصلها واشتقاقها.

كما أنه يهتم بذكر اللغات الواردة في الألفاظ القرآنية، وبيان معانيها، فعند تفسير قوله تعالى: { وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ } [البقرة: ١٣٠]. نقل عن ابن الأعرابي: سفه يسفه سفاهة وسفاها: طاش وخرق، وسفه نفسه سفهها: جهلها، وعند قوله تعالى: { إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ } [الأنفال: ٤٢]، قال: والعدوة بضم العين وفتحها وكسرها شفير الوادي، فتميم لا تعرف العدوة وتقول: خذ أعداء الوادي.

أما إعراب القرآن فهو ظاهر في كتابه، وقد عول في ذلك كثيرا على أبي إسحاق الزجاج، وأفاد منه إفادة كبيرة، لكنه قليل التصريح بالنقل عنه.

كما ينقل عن أئمة النحو المتقدمين مثل الكسائي، وسيبويه، والفراء، وأبي عبيدة، والأخفش، وأبي علي الفارسي... وغيرهم.

وهو في إعرابه للآية يذكر أوجه الاختلاف فيها، كما فعل في إعراب غَيْرِ في قوله تعالى:{غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ} [الفاتحة: ٧]، حيث ذكر ثلاثة أوجه فيها، وكذلك في هُدىً من قوله تعالى: {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} [البقرة: ٢]، ذكر وجهين فيها.

وأحيانا يرجح بين تلك الوجوه في إعراب الآية، ويورد الدليل على ذلك، كما صنع عند تفسير قوله تعالى: {وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ} [البقرة: ١٠].

قال: " ما " بمعنى المصدر، وليس بمعنى " الذي " لأن " الذي " يحتاج إلى عائد من الضمير، وإنما جاءهم المفسدون مع فساد غيرهم لشدة فسادهم، فكأنه لم يعتد بغيره.

وينتصر المؤلف - رحمه الله - في النحو للمذهب البصري، وذلك بترجيح أقوالهم، كما صنع في قوله تعالى: {فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ} [يوسف: ١٥]، حيث قال: محذوف الجواب، والكوفيون يجعلون " أجمعوا " جوابا، والواو مقحمة، وإقحامها لم يثبت، ولا له وجه في القياس.

وقد يذكر - أحيانا - بعض المصطلحات الكوفية، مثل: النصب على القطع، أي: على الحال. ولعله تأثر في ذلك بالفراء الذي جرى على هذه الاصطلاحات في كتابه معاني القرآن.

أما استشهاد المؤلف في هذا الكتاب بأشعار العرب وأمثالهم وأقوالهم فقليل جدا، لكنه توسع في ذلك في وضح البرهان حيث أكثر

من ذكر الشواهد الشعرية حتى إنه أفرد تلك الشواهد بمصنف خاص شرح فيه تلك الأبيات.

سابعا: ذكر لطائف تتعلق بالنظم القرآني، وذلك من حيث أسلوبه وبلاغته، فأورد من ذلك على سبيل المثال، سبب تقديم العبادة على الاستعانة في قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥} [الفاتحة: ٥]، فقال:{وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }، على نظم آي السورة، وإن كان " نعبدك " أوجز، ولهذا قدم " الرحمن " والأبلغ لا يقدم. وقدمت العبادة على الاستعانة لهذا، مع ما في تقديم ضمير المعبود من حسن الأدب.

وعند تفسير قوله تعالى: {وَمَاهُم بِمُؤْمِنِينَ} [البقرة: ٨]، قال: دخلت الباء في خبر " ما " مؤكدة للنفي، لأنه يستدل بها السامع على الجحد إذا غفل عن أول الكلام.

وعند قوله تعالى:{وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ } [البقرة: ١٤]، قال:

أبلغ من " خلوا بهم "، لأن فيه دلالة الابتداء والانتهاء، لأن أول لقائهم للمؤمنين، أي: إذا خلوا من المؤمنين إلى الشياطين.

وذكر فائدة " عشرة كاملة " في قوله تعالى: {ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ } [البقرة: ١٩٦] فقال: المراد رفع الإبهام، فقد يتوهم في الواو أنها بمعنى " أو " [1].

* * *

(1) انظر مقدمة كتاب تفسير إيجاز البيان عن معاني القرآن للثعالبي من تحقيق الدكتور / حنيف ابن حسن القاسمى، 1 /23 - 30 باختصار.